يحاصرونها ، وقد كانوا نزلوا على توزر[1] فما قدروا عليها ولا على نفطة وكدكين ، فلما وصلت الأتراك إليهم رجعوا إلى الحامة المذكورة فأخذوها عنوة وقتلوا فيها ألفا وسبعمائة رجل ونهبوها (١٠٠ ا) وكانت من البلاد الحسنة الطيبة الكثيرة البساتين والفواكه [وانعقد[2] الصلح] فتقررت القاعدة على أن تكون البلاد بينهما نصفين ، يكون لشرف الدين من البلاد : نوبة ، ومن نوبة إلى الغرب للمايرقى ، ومهما فتحوه كان قسمة بينهما ، واتفقوا على ذلك وتحالفوا وتجمعوا ، ولم يزالوا بقية سنتهم يرحلون وينزلون من موضع إلى موضع ويتمادون ، وأصحاب المايرقى يقلون وأصحاب شرف الدين يكثرون ، لأن الميارقة ما كان لهم مدد من خليفهم ، وأصحاب شرف الدين لهم الإقطاعات تصل إليهم من جبل نفوسة ومطماطة وبلاد نفزاوة وغيرها .

* * *

ودخلت سنة اثنتين وثمانين [وخمسمائة] . وسأذكر واقعته فيها فيما بعد إن شاء الله تعالى .

* * *

سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة

فيها نقل إلى الخليفة أن حاجب الباب يعشق امرأة مغنية يقال لها خطليشة الظفرية وكانت مستحسنة ، وأنه يمضى إليها إلى الجانب الغربى من بغداد ، فلم يصدق ذلك .

وكان أستاذ الدار ابن الصاحب يثنى على المذكور ، والخليفة يتمنى له

---

(١) مدينة فى أقصى افريقية من نواحى الزاب الكبير من أعمال الجريد ، انظر ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع ١/٢٨٠ .

(٢) ما بين الحاصرتين غير مقروء فى الاصل .

عشرة حتى يؤذيه ، وكان يفعل ذلك لبغضه لأستاذ الدار ، فتقدم إلى جماعة من الحماة أن يترقبوا من ابن هبيرة تلك الحالة المذكورة ويعلموه بصحتها ، وكان الخليفة يكثر الجلوس فى بستان محمد بن يحيى الفراش بالشارع على نهر عيسى ، وكان حاجب الباب له بستان على نهر عيسى وقد عمر فيه داراً حسنة . وكان يمضى إليه والناس بين يديه والخليفة يبصره وينفذ من يعتبر حاله ، وكان ابن هبيرة قد منع الناس من شرب الخمر وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، وبالغ فى الاحتياط وإظهار الدين .

فبينا الخليفة ذات يوم فى بستان محمد بن يحيى ينظر إلى خارج البستان من الدار التى [هو] فيها وإذا بخطليشة الظفرية قد أقبلت إلى بستان حاجب الباب ابن هبيرة فدخلت إليه ، ثم بعد ساعة أقبل حاجب الباب وقدامه (١٠٠ب) غلمانه والسيوف مشهورة بين يديه ومن خلفه ، و [هو] لا يعلم أن الخليفة فى بستان ابن يحيى الفراش . فقال الخليفة : «هذا يوم ابن هبيرة» ثم إنه أشار إلى على بن أبى الكتائب وقال له : « تصبر ساعة وتأخذ معك جماعة من المماليك وتمضى وتكبس البستان وتنزل من حيطانه وتترك عمامة ابن هبيرة فى عنقه ، وتقرن هذه القحبة إلى جانبه ، وتمضى بهما فى السوق من أوله إلى آخره وتشهرهما فى البلد ، وبعد ذلك تتركهما فى الخان الذى فى البدرية إلى أن أجىء إلى دار الخلافة ، وأدبر بأى قتلة أقتله ، فقد أمرضنى هذا الكلب وأفعاله القبيحة ، لأنه يأمر الناس بالمعروف ولا يفعله ، وينهاهم عن المنكر ويأتيه » .

فبينا الخليفة يوصى ابن أبى الكتائب بما يفعله وإذا جميع من كان مع حاجب الباب قد رجعوا ومعهم فرسه ولم يبق عنده سوى المغنية خطليشة ، فمضى ابن أبى الكتائب ومعه جماعة من المماليك والأتراك الصبيان وهم لا يعرفون من هو حاجب الباب ولا غيره ، وأتوا جميعاً إلى بستان ابن هبيرة فوجدوا الباب مغلقاً ، فأمر [ابن أبى الكتائب]

المماليك أن يصعدوا من الحائط فصعدوا وفتحوا الباب ، فدخل ابن أبى الكتائب فوجد ابن هبيرة متكئاً على مخدة والمغنية إلى جانبه عليها قميص تحتانى بغير سراويل ، فأخذوه وإياها وخرجوا بهما من البستان وضربوهما ضرباً شديداً حتى أشرفا على الهلاك ، وصار الخليفة يبصرهم .

ثم إنهم عبروا بهما إلى الجانب الشرقى وهما على تلك الحال فطوّف بهما فى نهر معلى فى السوق والضرب يأخذهما إلى أن وصلوا إلى باب البدرية فأدخلا إليها إلى الخان ، وجعل ابن هبيرة فى أحد البيوت وفى رجله سلسلة ، وجعلت المغنية فى بيت آخر مقابله .

ورجع ابن أبى الكتائب والمماليك إلى الخليفة وهو فى بستان محمد بن يحيى الفراش فعرفوه بذلك .

وأما أستاذ الدار فإنه أخبر بحال ابن هبيرة فضاق صدره وكثر خوفه واستشعاره .

وكان[٢] ...

---

(١) فى الأصل « متكى » .

(٢) الى هنا ينتهى القسم الموجود من مخطوطة مضمار الحقائق .

المراجع المستعملة فى حواشى
كتاب مضمار الحقائق

١ ــ العربية

ــ ابن الأثير (على بن محمد .. الجزرى) :

ا ــ الكامل فى التاريخ ، ج ١١ (القاهرة ١٣٠٣)

ب ــ التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ، تحقيق الدكتور عبد القادر أحمد طليمات . دار الكتب الحديثة القاهرة ١٩٦٣)

التاريخ او العبر وديوان المتبدأ والخبر (بولاق ١٢٨٤ هـ)

ــ ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ..... ت ٨٠٨ هـ) :
التاريخ . او العبر وديون المبتدأ والخبر ، ط . بولاق ١٢٨٤ هـ).

ــ ابن خلكان (أحمد بن محمد ..... ت ٦٨١ هـ) :
وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان (مطبعة اليمنية بالقاهرة ١٣١٠)

ــ أبو شامة (عبد الرحمن بن اسماعيل ..... ت ٦٦٥ هـ) :

ا ــ الذيل على الروضتين (تراجم رجال القرنين السادس والسابع) (نشره السيد عزت العطار الحسينى . القاهرة ١٣٦٦/١٩٤٧) .

ب ــ الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية (تحقيق الدكتور محمد حلمى محمد أحمد . القسم الثانى ــ القاهرة ١٩٦٢) .

ــ ابن عبد الحق البغداد (عبد المؤمن ..... ت ٧٣٩ هـ) :
مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع . ٣ اجزاء ، تحقيق على محمد البجاوى ، دار أحياء الكتب العربية بالقاهرة ١٣٧٣/١٩٥٤)

ــ ابن العماد الحنبلى (عبد الحى ..... ت ١٠٨٩ هـ) :
شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج ٤ ، نشرته مكتبة القدسى بالقاهرة ، ١٣٥١ هـ) .

ــ أبو الفداء (اسماعيل بن على الملك المؤيد ..... ت ٧٣٢ هـ) :
المختصر فى اخبار البشر ، ج٢ (مطبعة الحسينية بالقاهرة ١٣٢٥هـ)

ــ القلقشندى (احمد بن على ... ت ٨٢١ هـ) :
صبح الأعشى فى صناعة الانشا (ج ٣ ، ٤ ، ١٣) (طبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٠) .

— ابن كثير (اسماعيل بن عمر ...ت ٧٧٤ هـ)
البداية والنهاية ، ج ١٢ (مطبعة السعادة بالقاهرة ١٩٣٢) .
— لى سترانج :
بلدان الخلافة الشرقية (ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، مطبوعات المجمع العلمى العراقى . مطبعة الرابطة ، بغداد ١٩٥٤)
— محمد مختار (اللواء) :
التوفيقات الالهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الافرنكية والقبطية (الطبعةالاولى ، المطبعة الاميرية ببولاق ١٣١١ هـ)
— ابو المحاسن (يوسف بن تغرى بردى .... ت ٧٨٤ هـ) :
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ج ٦ (طبعة دار الكتب المصرية) .
— المقريزى (احمد بن على .. ت ٨٤٥ هـ) :
السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ تحقيق الدكتور محمد مصطفى زيادة (طبعة دار الكتب المصرية) .
— ابن واصل (محمد بن سالم المازنى .... ت ٦٩٧ هـ) :
مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، ج ٢ (نشره الدكتور جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٥٣) .
— ابن الوردى (عمر بن المظفر بن عمر ... ت ٧٤٩ هـ) :
تتمة المختصر ، طبعة الوهبية بالقاهرة ١٢٨٥ هـ .
— ياقوت الحموى (ت ٦٢٦ هـ) :
معجم البلدان .

المراجع الغربيـــة

Albon : La Mort d'Odon de St. Amand, (R.O.L., XII).
Blochet : Histoire d'Egypte de Maqrizi.
Dozy (R.) : Supplément aux Dictionnaires Arabes (2 Vols.).
Dussaud (R.) : Topographie Historique de la Syrie Antique et Médievale (Paris, 1927).
Gaudefroy-Demombynes : La Syrie à l'Epoque des Mamelouks d'après les Auteurs Arabes (Paris, 1923).
Grousset (R.) : Histoire des Croisades et de Royaume Franc de Jérusalem, t. II, (Paris, 1935).
Lane-Poole (Stanley) : Saladin (Putnam, Lond., 1926).
Quatremère (E.) : Histoire des Sultans Mamelouks de l'Egypte, t. II (Paris, 1837).
Runciman (S.) : History of The Crusades, Vol. II (The Kingdom of Jerusalem), Cambr., 1952.
Sauvaire : Description de Damas.

obeikandl.com